

بسم الله الرحمن الرحيم

من حياة الأتقياء (ابن عباس)

الحلقة الحادية والعشرون

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام المتقين وسيد المرسلين، نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:-

أيها المستمعون والمستمعات، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نقف اليوم مع صورة مشرقة من حياة الأتقياء ، نستلهم فيها الدروس والعبر من تلك المواقف الإيمانية ، والصفات الحميدة ، ومع فتى من فتيان الإسلام، نبغ صغيراً وساد كبيراً ، ضرب لنا مثلاً في العلم والتقى، إنه حبر الأمة وترجمان القرآن إنه عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما) .

لقد بلغ هذا الفتى من العلم مبلغاً عظيماً في حداثة سنه ، وليس ذلك بغريب فقد وجد من عناية المصطفى ﷺ به والدعاء له ما يؤهله لهذه المكانة ففي صحيح البخاري عن عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنه) قَالَ: ضَمَّنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ عَلِّمُهُ الْحِكْمَةَ .

و عن ابن عباس أيضاً قال : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح على ناصيتي وقال اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب .

ولم يكن ابن عباس (رضي الله عنهما) في تحصيله للعلم معتمداً على ذلك الدعاء الذي دعا به النبي ﷺ له ، بل سعى في الطلب وجد فيه مع تحليه بالأدب الرفيع لطالب العلم .

فعن عكرمة عن ابن عباس قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار هلم فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم اليوم كثير قال فقال واعجبا لك أترى الناس يفتقرون إليك قال فترك ذلك وأقبلت أسأل فإن كان

ليبلغني الحديث عن رجل فأتى بابه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه تسفى الريح علي من التراب فيخرج فيرايني فيقول يا ابن عم رسول الله ما جاء بك هلا أرسلت إلي فأتيك فأقول لا أنا أحق أن أتيك فأسأله عن الحديث فعاش الرجل الأنصاري حتى رأيي وقد اجتمع الناس حولي ليسألوني فقال هذا الفتى كان أعقل مني.

كما كان (رضي الله عنه) شديد الحرص على تدوين العلم وتحصيله ممن هو دون في المنزلة ، فقد كان يأتي أبا رافع فيقول ما صنع النبي صلى الله عليه وسلم يوم كذا ومع ابن عباس ما يكتب ما يقول .

أيها المستمعون الكرام ، هكذا يبلغ الفتى المكانة الرفيعة والمنزلة العالية في الناس ، بتحصيله العلم النافع ، وتحليه بالأدب الجم ، وإنما يدرك العلم النافع بالجد والأدب في الطلب ، ومجالسة أهل العلم وبذل السؤال لهم للاستفادة مما عندهم ، ولا يمتنع الشاب من السؤال بسبب الحياء أو التكبر ، فإنه لا يتعلم العلم متكبر ولا مستحي .

إن العلم النافع هو الذي يربي أهله على العمل الصالح والخلق الحسن ، فهذا عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) لم يزد علمه إلا تواضعاً وتقديراً لأهل العلم ، ولم يحمل في نفسه الحقد أو الحسد لهم ، كما يقع في قلوب البعض ، فرمى حسد أحدهم الآخر خوفاً من تفوقه عليه والتفات الناس له ، ولكن ابن عباس (رضي الله عنهما) ليس كذلك ، بل يتواضع ويحترم أهل العلم مثله ، فعن الشعبي قال ركب زيد ابن ثابت فأخذ ابن عباس بركابه فقال لا تفعل يا ابن عم رسول الله ، فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا. فقبل زيد بن ثابت يده وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا .

وهذا الخلق الجميل من عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) يقابل أيضاً بخلق مثله ويتواضع آخر من زيد بن ثابت (رضي الله عنه) ، وهكذا يفعل الأتقياء .

ولقد عرف الصحابة (رضي الله عنهم) لابن عباس هذه المكانة في الفضل فقدموه في المجالس على الأشياخ مع حداثة سنه ، واستشاروه في الأمور المهمة ، قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري قال قال المهاجرون لعمر ألا تدعوا أبناءنا كما تدعو ابن عباس قال ذاكم

فتى الكهول له لسان سؤول وقلب عقول .

أيها المستمعون الكرام لقد ألقى الله سبحانه في قلوب الناس محبة وإجلالاً لهذا الحبر، وذلك لما ناله من العلم النافع ، والعمل الصالح، وهذا هو الذي يغبط صاحبه على حب الناس له ، وهو دليل على محبة الله للعبد ، لما في صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فَلَانًا فَأَجَبَهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فَلَانًا فَأَجَبُوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ* .

وأما في هذا الزمان فكم هي علاقات الحب والود بين بعض الناس ولكنها على مصالح دنيوية أو ظروف زمنية ، سرعان ما تزول وتنمحي آثارها بزوال أسبابها، بل إن هذه المحبة ربما لا تنفع الطرفين بشيء ، وربما انقلبت إلى عداوة يوم القيامة ، كما أخبر المولى سبحانه عن الإخلااء بقوله ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾.

أيها المستمعون الكرام ، من الطبيعي أن يسعى الإنسان ليكون محبوباً من الناس، فهذا من طبائع النفس البشرية، ولكن ما الأسباب التي تجلب محبة الناس ، إنها كثيرة ، ولكن السؤال عن الأسباب التي تجلب المحبة الحقيقية للإنسان التي تنفع صاحبها في الدنيا والآخرة؟

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، تعالوا بنا نقف مع طرف من خلقه (رضي الله عنه) فعند البيهقي بسنده عن عبد الله بن بريدة قال شتم رجل ابن عباس . فقال: إنك لتشتمني وفي ثلاث: إني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأحبه ولعلي لا أقاضي إليه أبداً، وإني لأسمع بالغيث يصيب البلاد من بلدان المسلمين فأفرح به وما لي بها سائمة، ولا راعية، وإني لآتي على آية من كتاب الله تعالى فوددت أن المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما أعلم .

الله أكبر ، ما أعظم خلقك يا ابن عباس ، هكذا تكون حياة الأتقياء ، هكذا يكون الرجل الذي قد ملأ الإيمان قلبه فهو يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ولم يبق في قلبه مكان للحقد أو الحسد لأحد من المسلمين .

هذه الخصلة التي أتصف بها ابن عباس (رضي الله عنهما) من خصال الإيمان قد أوصى بها رسول الله ﷺ ، لما في صحيح البخاري عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ .

أيها المستمعون الكرام ، في الختام أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من عباده المتقين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد على آله وصحبه أجمعين ...